المجلد 5، العـدد 18 ص 108 - 119 (2024)، Volume 5, Issue 18

أثر الثورة الرقمية على الو اقع السياسي الفعلي وفقاً لمراحل ظهورها في التاريخ المعاصر(انموذجاً)

[1] مروة شهيد فرج*

[1] مديرية التربية في محافظة ذي قار، وزارة التربية والتعليم (العراق)

The digital revolution contributed to practical reality according to the stages of its emergence in contemporary history (A model)

[1] Marwa Shahid Faraj*

https://orcid.org/0009-0002-6801-4110

[1] Directorate of Education in Dhi Qar Governorate, Ministry of Education, marwasheedalkhazali@gmail.com

تاريخ الاستلام: 14 / 01 /2024 تاريخ القبول: 26 / 02 / 2024 تاريخ النشر: 01 / 06 / 2024

الملخص:

أثرت الثورة الرقمية على الواقع السياسي بشكل اساسي من خلال تحول المجال العام الرقمي الحر وبشكل نسبي ، وتحت نظم الرقابة الرقمية الرسمية، وأيضاً كان للشركات الرقمية الكونية الكبرى دوراً إذ باتت اليوم أداة لبناء جماعات ضغط رقمية، تمارس نقدها ومطالبها خارج الأطر الحزبية وخارج الأنظمة الدستورية والقانونية، وخارج الآليات التقليدية للنظام الديمقراطي التمثيلي، وتحولها من تعددية حزبية ومنافسات وانتخابات برلمانية وحزبية داخل كل حزب، وانتخابات بلدية، واستفتاءات إلى تشكيل حكومات؛ بناءً على نتائج الانتخابات، أو انتخابات رئاسية في النظم الرئاسية كالولايات المتحدة الأمريكية، أو برلمانية وشبه رئاسية على النمط الفرنسي.

لذلك تسعى هذه الدراسة لإبراز معرفة عدة تساؤلات حول إمكانية تعديل أنظمة الديمقراطية التمثيلية في إدخال بعض أشكالها المباشرة، وعدم الانتظار للانتخابات العامة لتغيير سياسات الحكومات المنتخبة، وفق الظواهر السياسية للثورة الرقمية وتأثيرها على الثقافة السياسية كجزء من عمليات السيولة، والتحول من حيث بروز بعض ظواهر الفوضوية في عالم ما بعد الحقيقة، والأخبار الكاذبة التي يتم تداولها في السياسة.

كلمات مفتاحية: التكنولوجيا الرقمية.، الكونية الرقمية.، الثورة الرقمية.، الجيوستراتيجية.، مواقع التواصل الاجتماعي.، التداول السياسي.

Abstract:

The digital revolution has politically affected the actual political reality through the transformation of the relatively free digital public sphere, under official digital censorship systems, and also for major global digital companies. Digitalization has today become a tool for building digital pressure groups that exercise their criticism and demands outside partisan frameworks and outside constitutional and legal systems, and outside The traditional mechanisms of a representative democratic system, including party pluralism,

* المؤلف المرسل.

* Corresponding author.

competitions, parliamentary and party elections within each party, municipal elections, referendums, and the formation of governments based on the results of the elections, or presidential elections in presidential systems such as the United States of America, or parliamentary and semi-presidential elections in the French style.

Therefore, this study seeks to highlight knowledge of several questions about the possibilities of modifying the system of representative democracy towards introducing some forms of direct democracy, and not waiting for general elections to change the policies of elected governments, according to the political phenomena of digitization and its impact on democratic political culture as part of the processes of liquidity, and transformation in terms of the emergence of some phenomena. Populism, the post-truth world, and fake news in politics.

Keywords: Digital technology; digital universalism; digital revolution; geostrategy; social networking sites; political circulation.

مقدمة:

إن كل الظواهر السابقة للثورة الرقمية وأثرها على الواقع السياسي عدت بالغة الأهمية، وبحاجة إلى مقاربات مختلفة عن ظواهر الواقع السياسي وأنماطه السائدة في الواقع الفعلي, لاسيما الظواهر المرتبطة بالتدين الرقمي ضرورة إيلاء عناية خاصة سوسيو– لسانية؛ لدراسة أنساق اللغة الدينية الرقمية، وتحول خطابات التواصل الاجتماعي المكتوبة والمرئية إلى لغة حاملة وحاسمة للحقائق المطلقة, في ظل تواجد لغة حاسمة وقاطعة وجازمة وهي لغة سلطوية دينية ، وهي لغة إجابات سابقة التجهيز تاريخياً تستعاد وتتلى، ويعاد كتابتها وترويجها، مع فقدان للغة السؤال، والأسئلة التي يطرحها عصرنا الحالي في علاقته بالنص المؤسس المقدس، أو سرديات التأويلية والفقهية، واللاهوتية إنها لغة لا تميز بين السرديات الوضعية حول المقدس، وبين المقدس ذاته، والحاجة إلى تجديد التفسيرات والتأويلات الوضعية البشرية للنص المقدس التأسيسي؛ سعياً وراء حركتيه في الزمان والمكان، وظواهر التحول في الشرط الإنساني الوجودي.

وها هو عالمنا الذي نعيش فيه يسيطر عليه فن الطمس والمحو والتهميش لكل ما هو إنساني وحقيقي وكونى، ولا مكان في هذا العالم للذاتية الحرة المستقلة، لا شك أن شيوع تيار ما بعد الحقيقة، وأساليب الكذب والخداع، والأخبار الكاذبة، ومشاركة العاديين الرقميين، وكتلهم الغفيرة، يؤدى إلى بناء سياجات جديدة للعقل بها طوفان من الأكاذيب، والخداع، وتتوارى الحرية والذوات الحرة المستقلة فيما وراء طوفان ما بعد الحقيقة، لصالح أشكال جديدة من الرقابة الرقمية الناعمة والثقيلة، وأساليب السيطرة السياسية للطبقات الحاكمة.

وقسم البحث إلى ثلاثة مباحث لأهمية الموضوع حيث عني المبحث الأول الذي جاء تحت عنوان: معرفة مصطلح الثورة الرقمية.. وحدود الفعل السياسي الرقمي، وتطرق المبحث الثاني إلى البعد السياسي للتكنولوجيا الرقمية في العالم العربي وتأثير السياسي في التاريخ المعاصر، بينما ركز المبحث الثالث على تأثير الثورة الرقمية وتكنولوجيا المعلومات في العلاقات الدولية منذ ظهورها وإلى يومنا هذا(تاريخياً).

وللإجابة عن هذه الإشكالية والتساؤلات المتفرعة للدراسة عنها يكون كالآتي:

أولاً: أهمية البحث:

تأتي هذه الدراسة في إطار تحليلها لـ أهمية الثورة الرقمية في العالم المعاصر لاسيما ما تركته من أثر ملموس على الواقع السياسي؛ مما جعلها تحت المنظار بحكم الأهمية التاريخية، والعلاقات والمصالح التي تحكم دول العالم، ووفق دبلوماسية النظام السياسي، وتروجه لمفاهيم الحوار الاستراتيجي بين فرقاء الأمم؛ مراعاةً لأهميتها وتحقيقاً لمبتغاهم الدولي.

ثانياً: مشكلة البحث:

انسجاما مع هذه التوليفة التراكبية بين الهاجس الثورة الرقمية هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على حالة الانكشاف السياسي الدولي، ثم الإجابة عن التساؤل: إلى أي مدى ستؤثر التهديدات الثورة الرقمية على التاريخ الدولي وفق مسار المشهد السياسي؟

وتثار العديد من الاسئلة الفرعية حول التساؤل الرئيسي لمشكلة البحث تكون كالاتي:

- ما مدى توظيف المجال العام الديني الرقمي من الجماعات الإسلامية السياسية؟
- معرفة من هم الفاعلين السياسيين في حقل الثورة الرقمية، وماهية دوافعهم، وخطاباتهم، وأعدادهم الضخمة...؟
-أثر الصراع على المكانة والنفوذ السياسي بين السلطات الحاكمة الرسمية، وبين الجماعات الدينية السياسية والسلفية المعارضة، ودعاة الطرق؟

رابعاً: منهج البحث:

حددت منهجية البحث وفق جانب التاريخي لمعرفة الأهمية الثورة الرقمية بمفهومها أي بمعنى أن التاريخ يبحث عن الأحداث التاريخية التي تمت كتابتها وفق الشأن التاريخي والرجوع الى احداثه وحسب تسلسله من خلال تسليط الضوء على اهميتها على العالم وفق المنظومة السياسية وتأثيرها الدولي.

المبحث الأول

معرفة مصطلح الثورة الرقمية .. وحدود الفعل السياسي الرقمي

أصبح العالم قرية صغيرة في ظل التطور السريع في وسائل الاتصال والثورة المعلوماتية, وبدأ تأثير الثورة الرقمية يتضح في كافة أنشطة حياتنا، و ظهرت المصطلحات الكثيرة التي تعبر عن أوجه الحياة الجديدة مثل المنزل الذكي، والمباني التجارية الافتراضية، والعمل عن بعد وربما يميل الناس إلى مقاومة التكنولوجيا التي يجدونها صعبة, فحيثما يوجد الإنسان يظهر التنافس، ويبرز الصراع، وتحدث الحروب, والمعلومات هي جزء من الحرب الرقمية التي تهدف إلى التأثير على العقول والتوجيه النفسي غير المباشر عبر العمليات النفسية والإعلامية المتطورة للغاية, فمن الصعب فهم التكنولوجيا الحديثة واستخدامها غالبا ما يكون خفياً. (نور الشيخ، تأثير الثورة الرقمية، 2021).

وحيث تختلف الحرب الرقمية عن الحرب المادية في أنها محصورة في الوسائل الرقمية، حيث يتسبب العيش في هذا العالم الرقمي في وجود فرص كبيرة ومواطن ضعف ومخاطر علينا استشرافها وفهمها، فعندما نخطط فنحن نستعد للمستقبل، نحاول التأثير في أحداثه، ونسعى إلى التحكم فيها، فإن للأفكار الجديدة ثلاثة أبعاد رئيسة: بعد الموضوع وطبيعته، وبعد الأثر وسعته، ثم بعد الزمن وآفاق المستقبل بشأنه (نبيل عبد الفتاح، الحرية الرقمية والعبودية الطوعية، 2023).

وأن المملكة العربية السعودية لديها رؤية استراتيجية طموحة، ستحقق كثيرا من التقدم في مجالات التعليم والصحة والصناعة والسياحة، باستخدام التخطيط الاستراتيجي والإرادة السياسية، إلى جانب استثمار الأموال والتقنيات الحديثة, ومستمرة في نهجها استباقي؛ لفهم طبيعة الصراعات المعاصرة والمستقبلية، والنظر في كيفية تطوير قدراتها الاستراتيجية بما يتناسب مع إن الثورة الرقمية فتحت فضاءات لا حصر لها للإنسان، حتى يستطيع أن يمتد، فلم يعُد الإنسان محدود بالذاكرة الصغيرة الّتي في عقله، إنما أصبح بإمكانه أن يمتد وأن يُضاعف مليارات الوصلات التي عنده وذلك عبر الكمبيوترات الموجودة، فكل ما تُريد تخزينه تخزنه في الكمبيوتر، وكل شيء تُريد أن تستدعيه، تستدعيه أيضًا من الكمبيوتر، بمعنى عشرات السنين من عملك وتفكيرك تسترجعه في لحظة واحدة دون أن تمُر على شيء معقد. (لينا الحسيني ثقافة الحاوية ،2022).

مع رسوخ شبكات العمل بصورة متزايدة تعيد هذه التقنيات تشكيل الطريقة التي يعيش بها الناس ويتصلون ويعملون ونفس هذه التغيرات التقنية التي تغيّر حاليًا عالم الأعمال والمجتمع المدني ستضفي أيضًا طابعاً خاصاً على الطريقة التي تقوم بها أنظمة الإدارة وطبيعة الحياة العامة نفسها وستقوم الثورة الرقمية في سياق تواصلها بإعادة تشكيل علاقات متميزة وإن ظلت متشابكة بين الناس ولكي نفهم لماذا وكيف ستتأثر مؤسسات أنظمة إدارتنا بمثل هذا العمق، من المفيد أن نبحث أولًا عن التأثير الهائل للاقتصاد الرقمي على الأعمال وتتمثَّل ميزة الاتصالات المدارة بالإنترنت في تكلفة المعاملات لمثل هذا النشاط تنخفض إلى الصفر تقريباً عندما يزيد مدى سرعة تقنيات الاتصالات، وعندما تصبح الأدوات أقوى. وتظهر لنا عدة اتجاهات رئيسة متعددة، يمكن أن تكون أوصافها الموجزة مفيدة عندما نفكر في التغيُّرات المقبلة في أنظمة الإدارة ومن ذلك (أسامة محمد بدر، ثورة النقود الرقمية ،2019):

1- الشركات: من خلالها يتم تحويلها على نطاق واسع بحيث تخضع لفحص دقيق وإصلاح واسع النطاق.
2- السوق: يمنح آلية كيفية تعلم التي تمارسه السلطة حيث يغدو أبرع وأكثر تشددًا.
3- مشروعات الأعمال: إذ تتحرك هذه المشروعات بسرعة هائلة.
4- المعرفة: هي الأصول الرئيسة بحيث يفسح النشاط الاقتصادي الذي يقوم على استخراج وتحويل الموارد النادرة المجال 5- لاقتصاد الوفرة، وفرة المعلومات ووسائل الاتصال.. ويغدو تأثير المعرفة عبر الابتكار حاسمًا.
6- الشفافية والانفتاح: حيث يصبحان عاملي تمكين رئيسين في السوق.

فالثورة الرقمية أحدثت تحولات مُذهلة في هذا العصر، لكن لكل شيء ضريبته، يعني ليس هُناك شيء مجاني، فنتيجة هذا التطور الهائل ندفع ضرائب في كافة المجالات وعلى كافة الأصعدة لطبيعة سريعة التغير في جميع جوانبها، وذلك عن طريق الاستعداد استباقي للتحديات (جريدة الوطن، 2023).

قد تكون القوانين الناظمة لعمل الإنترنت سيفاً ذا حدين في العديد من الدول حول العالم، وتنطلق الأهمية الضمنية لمواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للفاعلين السياسيين من الفضاء الافتراضي الذي خلقته هذه المنصات للتعبير الحر عن الأفكار دون قيود، والهروب من هيمنة الإعلام التقليدي على المعلومة، بمعزل عن أجنداته، حيث أصبح الوصول إلى المعلومة وتداولها أسهل بكثير عن السابق (برنامج خفايا اوروبا، 2023).

أن الاقتناع بهذه الفكرة تعمّق مع تمكّن الفواعل السياسية من استخدام المنصات الرقمية لجعل قضية ما محل اهتمام الرأي العام ووسائل الإعلام التقليدية، لكن هل نجح هذا الهروب نجاحاً كلياً؟ أم أصبح المستخدم رهيناً لأجندة سياسية ودعائية؟ وظلّت هذه الفكرة سائدة لبعض الوقت ومتناقلة بين عامة الناس وبعض الباحثين والأكاديميين الذين عوّلوا على انعتاق الفرد من سلطة التقليدي إلى حرية الرقمي، وتحول العالم الرقمي إلى بيئة للديمقراطية الرقمية التشاركية

التي تنطلق من حق المواطن في الحصول على المعلومات والأخبار والاستشارة والمشاركة السياسية, لكن بعض المشكلات التي واجهت الفعل الرقمي أثبتت وجود العديد من العوائق التي تقف أمام تحقيق بيئة خصبة وذو تهيئة للمشاركة السياسية الفعّالة وبناء ديمقراطية تشاركية (مونت كارلو الدولية، الثورة الرقمية ، 2017).

إن اقامة مواقع التواصل الاجتماعي على مجموعة من الخوارزميات وهي القاعدة التي يقوم على أساسها تسيير عمل هذه المنصات وتنظيم محتواها من خلال مجموعة من الآليات البرمجية لتحقيق مهمة محددة, لاسيما يمكن القول بأن الفعل السياسي الرقمي مطلق ومستمر الأثر، إذ لكل فعل حدود يقف عندها، وكذلك الفعل السياسي الرقمي، حاله كغيره من وسائل الاتصال، ليس مطلقاً إنما محدود بالعديد من المحددات التي تتعلق إما بالشركة المالكة للتطبيق المستخدم (الأداة الرقمية) (صندوق النقد العربي، 2019)، أو بالأنظمة والحكومات والدول التي يخضع الفرد أو الفاعل الرقمي لسلطتها وقوانينها (الديكتاتورية الرقمية), ومنها أيضاً ما يتعلق بالفعل والفعل المضاد المُستخدم من قبل فاعلين رقميين آخرين أفراداً كانوا أم مجموعات (حملات التأييد، حملات التشويه، حملات التضليل), كما أن حدود الفعل الرقمي تنتهي بانتهاء قدرته على التأثير وتحقيق الاستجابة الفعلية، إما لخطأ في إيصال الرسالة أو للأسباب التي سنذكرها فيما يلي(كريستوفر موتو ، الثورة الرقمية ،2019):

أولاً: فخ الخوارزميات: تقوم مواقع التواصل الاجتماعي، على مجموعة من الخوارزميات وهي القاعدة التي يقوم على أساسها تسيير عمل هذه المنصات وتنظيم محتواها من خلال مجموعة من الآليات البرمجية لتحقيق مهمة محددة وخوارزميات الذكاء الصناعي ليست إلا جزءاً من العالم الذي تحكم التكنولوجيا سيطرتها عليه، بل هي أحد أهم أركانه؛ نظراً لتجذر التطبيقات التي تعتمد بشكل مباشر على آليات الذكاء الصناعي وخوارزمياته المتداخلة مع مفاصل حياتنا اليومية (كريستوفر موتو، الثورة الرقمية ،2019).

وبالعودة إلى نظرية ترتيب الأولويات التي تقوم على وجود علاقة ارتباطية بين تركيز وسائل الإعلام على حدث معين وزيادة اهتمام الشارع به، نطرح سؤالاً يتعلق بتوظيف خوارزميات الذكاء الاصطناعي للتحكم في المعلومات المتدفقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتحديد ما سيشاهده المستخدمون، والتأثير على آلية تدفق البيانات ضمن حرب المعلومات العالمية، من خلال تضخيم حدث على حساب آخر، المشاركة في حملات تضليل الحقائق، بالإضافة إلى تفعيل استراتيجية إخفاء المعلومات ومنع تدفقها إلى الناس، كما يمكن لنا طرح سؤال آخر يتعلق بشق حرية التعبير ودور الخوارزميات في تأمين حرية تعبير غير مشروطة أو مقيدة لمستخدميها ,وتعمل الخوارزميات عن طريق الاستجابة للمدخلات التي تكون على شكل أوامر برمجية، يتم من خلالها تصنيف كلمات أو وسوم على أنها غير مرغوب فيها أو مخالفة لقوانين المنصة، فتستجيب الخوارزمية لهذه المدخلات بحذف المنشورات ومنع المستخدمين من تداولها، وصولاً إلى تعليق بعض الحسابات أو حذفها نهائيا من المنصة, وتكمن خطورة هذا الأمر في تحوله إلى شكل من أشكال تسيس هذه المنصات، بفعل الضغوطات التي تُمارس عليها من قبل جهات محلية أو دولية.

ثانياً: تسيس القوانين: قد تكون القوانين الناظمة لعمل الإنترنت، سيفا ذا حدين في العديد من الدول حول العالم، بخاصة الدول الخاضعة لنظام ديكتاتوري شمولي من جهة، وحماية بيانات المستخدمين مسؤولية حكومية في إطار الصراع العالمي الدائر حول السيطرة على البيانات وبالتالي امتلاك القوة من جهة أخرى, فحرب المعلومات التي نعيش في ظلها اليوم، تعني أن مشاركة البيانات في عالم متصل رقمياً، بدءاً من تسليمها الطوعي لقاء الخدمات التي تقدمها مواقع التواصل الاجتماعي، وصولاً إلى ارتباط بياناتنا الصحية والخدمية والحكومية

في نظام حكومي رقمي، سيزيد من فرصة إساءة استخدامها والتلاعب بها ، كما أن المجتمع الرقمي على اتساعه، بحاجة إلى ناظم يضبط إيقاعه؛ بغرض توفير عنصر الحماية (ريمي ريفيل ، الثورة الرقمية ثورة ثقافية ،2022).

ثالثا: قوانين المنصات الاجتماعية: كما أسلفنا في النقطة السابقة، فإن القوانين التي تسنها الحكومات، قد تقود في بعض الأحيان إلى مصادرة حرية الرأي والتعبير ضمن الفضاء الإلكتروني، وكذلك القوانين الخاصة بالمنصات الاجتماعية, وبمعزل عن تحكم الخوارزميات فيما يجب على المستخدمين مشاهدته، فإن قوانين وسياسات المنصات الاجتماعية تساهم في إسقاط نوع من الظل على النشاطات الرقمية خاصة المتعلق بالنشاط السياسي منها, هذه القوانين تفرز تصنيفات على شكل مدخلات تتكامل مع عمل خوارزميات هذه المواقع ويحق لهذه المنصات تنظيم المحتوى وحذف ما هو مسيء أو يضر بمصالح المستخدمين ويحض على العنف، إلا أن احتمالية استخدام هذه القوانين بشكل مسيس واردة، وهنا تقع مسؤولية زيادة نسبة الشفافية على عاتق هذه الشركات في تطبيق أحكامها وقواعدها(نبيل علي ونادية حجازي، الفجوة الرقمية ، 2006).

رابعاً: الفعل السياسي الرقمي المضاد: نظراً لتنوع الفضاء الرقمي، نجد تنوعاً بالآراء والأطروحات حيث تختلف في ماهيتها وشدة تأثيرها، فالدعاية لا بد لها من وجود دعاية أخرى من مقابلة، والرأي السياسي لا بد له من وجود آخر يعارضه. وهكذا فإن الفعل السياسي الرقمي يتخذ قوة تأثيره أو ضعفه من خلال نوع الفعل المضاد ومؤثراته (تامر المغاوري الملاح، المواطنة الرقمية، 2022).

خامساً: محدودية الأثر: إن الآفة التي لا يصلح فيها الفعل السياسي الرقمي أن يكون فعلاً ذا قيمة تأثيرية دائمة، هو محدودية أثره أو بقائه فقط ضمن حدود الفضاء الرقمي دون فرض إرادته على أرض الواقع، وهو ما يشكل نقطة ضعف لا يمكن التغافل عنها عندما يتم الحديث عن النشاط السياسي الرقمي، فحتى يكون الفعل السياسي الرقمي مؤثرا ينبغي أن يجد له حضوراً مشهوداً في الساحة التقليدية أيضاً (عيسى مخلوف، في ظل الثورة الرقمية، 2022).

لذلك بأن قراءة أي فعل سياسي رقمي يجب لا يخرج عن السياقات الخاصة بالحدث وطبيعته وتحدياته، وتحقيق اي نجاح للفعل السياسي الرقمي سيكون مرهون بمفعوله الواقعي وروابطه المتينة؛ بوصفه أداة ووسيلة بين الجهة المستخدمة والجهة المستهدفة (عبد الرحمن الاشعاري، كيف حولت الثورة الرقمية العالم إلى قرية صغيرة، 2017).

المبحث الثاني

البعد السياسي للتكنولوجيا الرقمية في العالم العربي وتأثيره السياسي في التاريخ المعاصر

شهد العالم مطلع الألفية الثالثة تغيرات سريعة وجوهرية مست جميع مجالات الحياة، وكان سببها الرئيسي هو بروز ظاهرة العولمة، هذه الظاهرة التي ساهمت في تبلورها عدة عوامل وآليات كان من أبرزها ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، «التكنولوجيا الرقمية»، هذه التكنولوجيا التي مكنت أبناء المعمورة من التواصل ونقل البيانات والمعلومات فيما بينهم بكل سهولة وفي أي مكان وأي وقت، بغض النظر عن أماكن إقامتهم إلى حد ما، متجاوزين العديد من الاعتبارات الجيوسياسية والقيمية وغيرها، كما أسفرت تلك التكنولوجيا الرقمية عن إيجاد وفرة ضخمة في المعلومات، وسهولة الحصول عليها، وتبادلها وتخزينها واسترجاعها، متجاوزة بذلك جملة الاعتبارات الزمانية والمكانية (نبيل عبد الفتاح، الفرد الرقمي ، 2023).

المجلد 5، العـدد 18 ص 108 - 119 (2024)، Volume 5, Issue 18

فخلال السنوات الأخيرة اقتحمت التكنولوجيا الرقمية المزيج التقليدي للمجتمعات وأمست عنصراً جديداً ومهماً من عناصره ؛ لما تتميز به من فتوة وتأثير عظيم على سير كافة مجريات حياة البشر، ومن ثم كان من الطبيعي أن تتغير مخرجات الفكر البشري لتُشكل واقعا جديداً وظواهر وممارسات جديدة، فقد وضعت تلك التكنولوجيا أدوات جديدة لم تألفها البشرية من قبل إذ تخصصت في الإنتاج والتداول السريع للمعلومات على نطاق واسع وبأسعار رخيصة وبسهولة شديدة تُتيح حتى للأميين استخدام بعض آلياتها، وفتحت قنوات للتواصل بين الملايين بصورة غير مسبوقة, وفي سياق آخر فإن العالم السياسي اليوم يشهد زخما كبيراً من الأحداث السياسية التي واكبتها ظهور أدوات إلكترونية حديثة مكنت الناس من التعرف على كل ما يطرأ من مستجدات خلال دقائق، فما يحدث في الصين الآن يُمكن لابن البيرو مراقبته وهو على أريكته، وليس هذا وحسب بل يتمكن ذلك الشخص من التعرف على تحليلات ذلك الحدث وأسبابه وتأثيراته ووجهات النظر التي تدور حوله ومن المختصين والمُحللين أيضاً (المنصة الوطنية الموحدة، 2023).

كما وباتت المعلومة السياسية سهلة الحصول عليها وتداولها في هذا العالم الرقمي الذي يعيشه أبناء الألفية الثالثة، نتيجة للبيئة الرقمية التي أفرزتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وبناءً على هذا الواقع المُعاش اليوم، ساهمت هذه التكنولوجيا الرقمية في رفع مستوى الثقافة السياسية لدى أبناء العالم العربي. ويكاد لا يخفى على أحد الأهمية القصوى التي وصلت لها «المعلومات والاتصالات» وقيمتهما في هذا الزمن من عُمر البشرية، إلى الدرجة التي نُعت بها هذا العصر بـ «عصر المعرفة» (صحيفة الشرق الأوسط، 2023).

ورغم إيجابية التكنولوجيا الرقمية في تقديمها للمعلومات لكل من يحتاجها وبديناميكية مناسبة وسهلة، إلا أن لإفرازات تلك التكنولوجيا سلبيات عديدة لعل أبرزها ما يُسمى بـ «كثافة المعلومات» هذه الكثافة التي تعني بأبسط حالاتها الزخم الكبير في حجم المعلومات، وبروز حالة عدم اليقين فيها، أي صعوبة تحديد مدى صدقية تلك المعلومات المُقدمة، وتضاربها أحيانا مما يضع المتلقي لها في حالة من الإرباك، تدفع بالكثيرين إلى ردة فعل سلبية، تتمثل إما في البعد عنها بما يُسمى «بحالة الجهل المعرفي»، وإما بتبني معلومات غير صحيحة يُسفر عنها اتخاذ قرارات وتدابير غير سليمة وخاطئة لدى مُتبنيها، كما وأن من سلبيات إفرازات التكنولوجيا الرقمية فيما يتعلق بجانبها اتصالي هو الاستخدام السلبي لتلك الوسائل الحديثة ذلك الاستخدام الذي لا يكاد يخفى على أحد، وعلى الرغم من الفوائد العديدة للتكنولوجيا على الديمقراطية، وكذلك الانتشار العالمي لعمل الحكومات الإلكترونية، إلا أن تلك التكنولوجيا وحدها لا توفر بالضرورة مزيداً من المشاركة الشعبية وأن التدخل الإلكتروني الهائل لا يكفي لإعادة اختراع الحكومات الفعالة (ما مستقبل الثورة الرقمية ، 2023).

فالنهاية لا بد من أن تؤخذ بعين الاعتبار متغيرات أخرى في ذلك وأهمها الثقافة السياسية، والأطر المعرفية والعقلية والتقاليد الإدارية للسلطات، بمعنى آخر أن التكنولوجيا الرقمية حتى سيكون بمقدورها من استطاعة في لعب دور فعال في المجتمعات، وفي الديمقراطية والأداء الحكومي، فانه ينبغي لتلك التكنولوجيا الرقمية أن تؤثر بداية في تشكيل ودعم متغيرات أخرى وأبرزها الثقافة السياسية (العالم يفكر، 2021).

المجلد 5، العـدد 18 ص 108 - 119 (2024)، Volume 5, Issue 18

المبحث الثالث

تأثير الثورة الرقمية وتكنولوجيا المعلومات في العلاقات الدولية منذ ظهورها وإلى يومنا هذا(تاريخياً)

إن الحروب المعلوماتية قديمة قدم النزاع البشري، وظلت الدوافع الكامنة وراء هذه الحروب على حالها عموماً، وتشمل هذه الدوافع السعي لتقويض ثقة الخصم، وتعطيل خطوط اتصالاته وإرباكها، وخلق الأوهام في نفسه بشأن طبيعة النزاع ومكانه (محمد عبد البديع، الاعلام والسياسة الخارجية، 2015).

أما ما استجد في القرن الحادي والعشرين الذي تشيع فيه البنى التحتية المعلوماتية الإلكترونية بصلاتها الرقمية، هو شراسة الهجمات المعلوماتية التي يمكن أن تمزق النسيج الاجتماعي للبلد المستهدف وتكررها والقدرة البالغة على إلحاق أضرار مادية واسعة نتيجة انتشار وتوغل التجارة الإلكترونية والتواصل الرقمي بين البلاد وبعضها، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه اسم الحرب الباردة السيبرانية (مارتن مولآيزن, كل ما يمكن أن يقال عن الثورة الرقمية, ، 2018).

وأدى الاستخدام المكثف لتكنولوجيا المعلومات الجديدة إلى تعزيز القدرات القتالية للأسلحة التقليدية والتكنولوجيات العسكرية الأخرى ولهذا السبب فإن العسكريين ينظرون إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على أنها سلاح وهدف في آن واحد، كما يعتبرون الفضاء السيبراني ميداناً لخوض الحروب مثله كالجو، والفضاء، والبر، والبحر (زهير الخويلدي، الثورة الرقمية، 2021).

وشهد العالم عدة ثورات عالمية صناعية أثرت في البشرية بالإيجاب وزادت مع معدلات التقدم والرفاهية وضمنّت عدة سلبيات، ودائماً ما تكون السلبيات سبيلاً لابتكار حلول وظهور اختراعات أخرى وتعديلات لقوانين، وأيضاً تغيرات اجتماعية، فقدرة الإنسان والعالم على التكيف مع التطورات هي الضامن الوحيد لاستمرار الحياة، وقدرة الإنسان والعالم على التطور مع حركة العلم والصناعة والتكنولوجيا بشكلها القديم والحديث هي الضامن الوحيد لاستمرار حركة التقدم والتعلم والريادة (منى فياض، تحديات الثورة الرقمية، 2018).

في عام 1760، كانت الثورة الصناعية الأولى مع ظهور الآلة في شكلها الأولي مجسده في محرك البخار، وما طرأ على العالم من تغيرات في البنية الصناعية والاجتماعية عقب هذه الثورة, وفى عام 1840، كانت الثورة الثانية مع ظهور الكهرباء، والتي ساهمت بشكل كبير في الزيادة الكمية لمعدلات الصناعة والإنتاج وزيادة أيضاً في معدلات الرفاهية الإنسانية بدرجة متفاوتة, أما في العام 1960 كانت الثورة الثالثة الناقلة إلى آفاق غيبية كبيرة فاقت التوقعات وكانت مع ظهور الحواسيب، وما تلاها من حالات ازدهار علمي وتقنى وثقافي ومعرفي بما أسهم في تسارع حركة كوكب الأرض التجارية والثقافية أيضاً (محمد يسري أبو هدور ، الثورة الرقمية.. ثورة ثقافية، 2018).

وجاءت الثورة الرابعة معانقة للعالم بكل مدخلاته عام 2000، ممُثلة في دخول الإنترنت وخليط من التطور التكنو لوجى، مما سمح بالوصول الى ما بعد الغيبيات العلمية إلى بعد لا محدود يسمح بتنفيذ كل ما يطرأ على العقل من أفكار حتى وإن كانت شبة خيالية، وأصبح للعالم اليوم ما يسمى بـ انترنت الأشياء وفق تصنيعه للشخوص الألية والطباعة ثلاثية الأبعاد والذكاء الاصطناعي وتطبيقات لا حصر لها (نبيل علي ونادية حجازي، 2006) ، الذي ساهم في دعم الثورة الرابعة من انتشار وسائل التواصل، وكانت الإيجابيات الناتجة عن ازدهار الثورة الرابعة هي تسريع معدلات النمو الاقتصادي، وتخفيض التكاليف، وتحسين الجودة، وتقديم خدمات أوسع للناس وكانت السلبيات منحصرة في تقليص فرص العمل واتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء وظهور ما يسمى الطفل الرقمي، والحياة الرقمية، والواقع الافتراضي، وظهور اثنين مليون وظيفة جديدة متعلقة بالبرمجيات والكمبيوتر، وما يعمق تقارير مكنزي الاستشارية العالمية هو ازدهار التجارة الإلكترونية الى ما يفوق الـ 22 مليون تريليون دولار عام 2016 (تامر المغاوري الملاح ، 2022).

ما قامت به الثورة الرابعة هي خلق مفاهيم جديدة وحديثة لم نظن يوماً أن تكون مثل الاقتصاد الرقمي والحروب الرقمية والمعرفة الرقمية والسلطة الرقمية، والتي أقرها إعلان بار لو في عام 1996، والتي خولت للجمهوريات الرقمية الحديثة السلطات المُطلقة في التفكير والاستخدام، وكان لظهور الذكاء الاصطناعي أكبر الأثر في دعم الثورة الرابعة، حتى إننا من الممكن أن نرتفع بسقف الظنون والتطلعات إلى أن الثورة الخامسة قد تكون ثورة رقمية بالكامل لا دخل للبشر بها، ثورة ذكاء اصطناعي سيكون البشر والحياة الطبيعية من ضحاياها(عيسى مخلوف ، في ظل الثورة الرقمية ، 2022).

في ظل المتغيرات الحديثة في كافة الأصعدة استحدثت تهديدات لم تكن من قبل، مثل الحروب السيبرانية والتجنيد الالكتروني والحرب النفسية الإلكترونية، ويشمل مفهوم الحرب السيبرانية الاستهداف للقدرات والأنظمة العسكرية وأيضاً استهداف البنية التحتية الحيوية للمجتمع، والشبكات الذكية وشبكات حيازة البيانات التي تسمح لها بالعمل والدفاع عن نفسها (جوزيف إس ناي، القوة الناعمة، 2020).

رغم أن هذه الحرب يمكن أن تُشبه الحرب التقليدية من عدة جوانب إلا أنها ذو أبعاد جديدة وغير متوقعة, ونظراً لأن الأنظمة في الفضاء السيبراني ترتبط بالحواسيب وشبكات الاتصال فإن الاضطراب الذي ينشأ عن الهجوم باستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يتجاوز تعطل نظام وحيد، بل ويتجاوز الحدود الوطنية في كثير من الأحيان, ومن هنا أتى تعريف القوة السيبرانية : وهي القدرة على استخدام الفضاء السيبراني لخلق المزايا والتأثير على الأحداث في البيئات المختلفة عبر أدوات القوة، وهي مجموعة الوسائل، والطاقات، والإمكانيات المادية وغير المادية، المنظورة وغير المنظورة التي بحوزة الدولة وتمثل الموارد المتعلقة بالتحكم والسيطرة على أجهزة الحاسبات والمعلومات، والشبكات الإلكترونية، والبنية التحتية المعلوماتية، والمهارات البشرية المدربة للتعامل مع هذه الوسائل ، ويستخدمها صانع القرار في فعل مؤثر يحقق مصالح الدولة (أسامة محمد بدر ، 2019).

والرؤية في تأثير تلك القوى دولياً على العديد من عمليات نقل البيانات على أكثر من بلد واحد وتستند خدمات كثيرة في الإنترنت إلى خدمات تأتي من الخارج ، وعلى سبيل المثال، تعرض مواقع استضافة تقديم الخدمة فضاءً في شبكة الويب للإيجار في بلد على أساس العتاد الموجود في بلد آخر، علاوة على أن الأعطال القصيرة في الخدمات يمكن أن تسبب أضراراً مالية ضخمة في شركات أعمال التجارة الإلكترونية، وشبكات الاتصالات المدنية ليست هي الأنظمة الوحيدة المعرضة للهجوم، إذ إن الاعتماد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمثل عنصر مخاطرة كبيراً أيضاً للاتصالات العسكرية, على عكس المقاتلين التقليديين، لا يحتاج المهاجمون السيبرانيون إلى الوجود في المكان الذي يحدث فيه أثر الهجوم أو حتى في المكان الذي يظهر أن الهجوم ينشأ فيه ويستطيع المهاجمون أثناء القيام بالهجوم استعمال تكنولوجيا اتصال مجهول الهوية والتشفير لإخفاء هويتهم عبر البلاد ويواجه زعماء العالم تحديات هائلة لا مثيل لها, ويتعين عليهم إعطاء الاهتمام السياسي لقضايا الفضاء الجيوسيبراني العالقة بين الإنترنت والجغرافيا والاقتصاد والسياسة للدولة وسياستها الخارجية (نبيل عبد الفتاح ، 2023).

أن السعي نحو الاستقرار الجيوسيبراني لابد أن يصبح غاية قومية تتبناها الأمم المتحدة في العصر الحالي وقبل فوات الأوان، فأصبحنا نرى تمرد التكنولوجيا على رؤساء دول وتحجم آرائهم وأفكارهم لصالح رؤساء آخرون أو دول أخرى, فالقوة السيبرانية الآن تشكل خطراً داهماً على الحياة، ونرى اختراقات للبيانات وقرصنة معلوماتية ما بين الدول الكبرى، تنذر بمستقبل غامض ومريب من العلاقات الدولية، وسنكون أمام انهيار كامل لأمم دون إراقة نقطة دماء واحدة, دائما ما يتم الترويج للاختراعات الحديثة بكل العناصر الإيجابية التي يتضمنها الاختراع أو الاكتشاف، والآن نحن أمام حالة من كشف

الغطاء عن الوجه القبيح لكل ما تضمنه التكنولوجيا وكل ما أتت به ثورة الإنترنت، وهذا لا يعنى شن الحرب على التكنولوجيا إنما يعنى وضع الضوابط اللازمة للحيلولة دون فناء البشرية بين عشية وضحاها (ريمي ريفيل،2022).

وأخيراً، تتخذ العديد من الدول إجراءات لمجابهة التهديدات الموجهة إلى الأمن المعلوماتي، ومع ذلك فإن طابع هذا التهديد العابر للبلدان والهوية المغلفة للمعتدين تقلل من كفاءة حتى أشد هذه الإجراءات صرامة، وفي مثل هذه الظروف فليس بمقدور أي دولة أن تتمتع بالسلامة إذا ما حاولت التصدي بمفردها للتهديدات المعلوماتية، ولا يمكن الحد من انتشار الأسلحة المعلوماتية وتقليل خطر نشوب حروب معلوماتية، وعمليات إرهابية معلوماتية، وجرائم سيبرانية، إلا بإرساء نظام دولي للأمن المعلوماتي، يبذل المشاركون فيه جهوداً كبيرة في هذا الصدد (ريمي ريفيل،2022).

في الختام يمكننا القول بأن في متناولنا إقامة أنظمة إدارة أُعيد تنشيطها لتواكب العصر الرقمي وعندما يقوم الشركاء والمواطنون والقطاع الخاص بإعادة تحديد أدوارهم وإعادة مشاركتهم فيها ستكون النتيجة أنظمة إدارة أفضل.

الخاتمة:

بعد معرفتنا لأثر الثورة الرقمية على التاريخ المعاصر تمكننا من الوصول إلى معرفة عدة أمور منها:

1- أن العمل السياسي يتطلب خطاباً ونصاً؛ لكي يوجه الأفراد سواء كان هذا الخطاب يحمل في طياته الحقيقة، من خلال استخدام الخطاب الواقعي الذي يحمل الحقيقة المرتكزة على وقائع لا على مغالطات وهنا، من الممكن طرح السؤال الآتي: هل يحق لنا في العمل السياسي أن نكذب كي نوجه الرأي العام؟ فإذا أردنا أن نتطلع إلى الوعود التي تطلق خلال الحملات الانتخابية، وما ينفذ منها فعلياً، يتبين لنا أن الكلام ما كان إلا مجرد خطاب.

2-كما أن السياسيين يتبعون استراتيجيات مختلفة للتواصل؛ فبعضهم يستثمر في عدة منصات، ولكن يبقى أهمها فيسبوك وتو يتر هذه الاستراتيجيات للتواصل المختلفة بطبيعتها مفتوحة وتحاكي الجمهور نفسه، وتتوجه على الأغلب إلى الناخبين الشباب الناشطين في الشبكات الاجتماعية، والذين يستطيعون التأثير في الحملة والمشاركة من خلال نشر الأفكار.

3-التجديد ليس فقط مسألة تقنيات، بل إنه يحمل أبعادًا متعددة، فالأدوات التقنية تدفع إلى تخطِّي السلوكيات الحالية نحو سلوكيات جديدة كما أن التشابك حق أساسي وليس خدمة هذا التبادل والترابط لا يمكن فصله عن الحرية، ولكن كل هذا يؤدي بالتالي إلى سهولة المراقبة.

4-في العمل السياسي لا يوجد إلا خطاب من أجل المنازلة والمغازلة والشرح والتجييش وهو يبنى دائماً من خلال الكلمات بحسب السياق الذي من المفترض أن يتناسب معه, والخطاب السياسي موجه إلى الداخل والخارج معًا، كما أنه يختلف بحسب نظام الحكم القائم, انطلاقًا من ذلك فإن على الخطاب السياسي، مهما كان الوسيط، وهل هو رقمي أم غير رقمي، أن يراعي هذه الأمور العامة, يبقى أن نشير إلى أن مستوى الخطاب ووقعه يرتبطان بالهرم وبالمكان الذي يشغله السياسي ومهما كان شكل الاتصال السياسي، فهو مرتبط بالممارسات، وبمنطق السلطة الذي يوجه شكل الخطاب ووجهته.

5-لاسيما يمكننا القول بأن السياسة هي فن تسويق، فإن ثورة المعلومات بقدرتها تساعد في تحرير السياسي من العبء الإعلامي الذي كان مسيطرًا أحياناً، عندما كان يستجدي الإعلامي؛ لكي يتحدث عنه أو ينشر له تصريحًا وهذا التغيير ليس بالأمر السهل، ولكنه يطرح إشكاليات عدة تتعلق بدور الإعلام، على الرغم من أنه ما زال حتى الآن مشرعًا لهذه التصريحات، والثورة الرقمية بجانبها ساهمت بشكل وبآخر في احداث نقلة نوعية في التاريخ المعاصر في ظل احداث التغيرات التي اقامتها في العالم المعاصر.

قائمة المصادر:

أولاً: الكتب:

1- نبيـل عبـد الفتـاح (2023). الحريـة الرقميـة والعبوديـة الطوعيـة: أثـر الثـورة الرقميـة في تشـكل الظـواهر السوسـيو- نفسـية علـى الشـبكات الاجتماعيـة، مركـز الاهـرام للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، القاهرة.

2- ريمي ريفيـل(2022). الثـورة الرقميـة ثـورة ثقافيـة، ترجمـة سـعيد بلمبخـوت، الناشـر المجلـس الـوطني للثقافة والفنون والآداب، عمان.

3- تـامر المغـاوري المـلاح (2022). المواطنـة الرقميـة ضـرورة مسـتقبلية، الناشـر المركـز الأكـاديمي العربـي للنشـر والتوزيع.

4- نبيـل علي ونادية حجـازي (2006). الفجـوة الرقميـة رؤيـة عربيـة لمجتمـع المعرفـة، الناشـر المجلـس الـوطني للثقافة والفنون والآداب، عمان.

5- كريسـتوفر موتـو كوماروسـي بـي دي إل (2019). الثـورة الرقميـة فوائـد لا يمكـن قياسـها ومخـاطر لا يمكـن إنكارها.

ثانياً: المجلات

1- نورالشـيخ (2021). تـأثير الثـورة الرقميـة وتكنولوجيـا المعلومـات في العلاقـات الدوليـة، مجلـة السياسـة الدولية، القاهرة.

2- أسـامة محمـد بـدر2019: ثـورة النقـود الرقميـة وأثرهـا على السياسـة النقديـة، مجلـة الدراسـات التجاريـة المعاصرة، مج6, العدد9, القاهرة، ص370.

3- جوزيف إس ناي، القوة الناعمة: مستقبل لقوة في العصر الرقمي، مجلة دبي للسياسات , 2020, ص26.

ثالثاً: الصحف

1- عيسـى مخـل جريـدة الـوطن، عمـان، الثـورة الرقميـة للسياسـات الإداريـة في ظـل الـذكاء الاصـطناعي، يـوم الثلاثـاء 5 ديسـمبر، 2023، في ظـل الثـورة الرقميـة، مقـال منشـور في جريـدة نـداء الـوطن على الانترنـت عـام 2022.

2- صـحيفة الشـرق الاوسـط، السـعودية، السـلطة الخامسـة. عصـر الثـورة الرقميـة الـدائم يـرغم الإعـلام على التجدد والتأقلم, 2023.

3- جريـدة الـوطن، عمـان، الثـورة الرقميـة للسياسـات الإداريـة في ظـل الـذكاء الاصـطناعي، يـوم الثلاثـاء 5 ديسمبر, 2023.

رابعاً: المو اقع الالكترونية المنشورة على الانترنت

1- لينـا الحسـيني: ثقافـة الحاويـة.. تعريـب لينينـا، موقـع سـاحة التحريـر,11حزيـران 2022.متـاح على الـرابط التالي:https://www.sahat-altahreer.com/?p=100928

2- مركز الفرات للدراسات: الامبراطورية الالكترونية في ظل الثورة الرقمية، مقال منشور على الانترنت.

3- عيسى مخلوف، في ظل الثورة الرقمية، مقال منشور في جريدة نداء الوطن على الانترنت عام 2022.

4- عبد الرحمان الاشعاري، كيف حولت الثورة الرقمية العالم إلى قرية صغيرة، مقال منشور على الانترنت 2017.
5- ما مستقبل الثورة الرقمية للسياسات الإدارية في ظل الذكاء الاصطناعي؟ مقال تم نشره على الانترنت يوم الثلاثاء 25 تموز عام 2023.

6- العالم يفكر.. تحديات العصر الرقمي، مقال منشور على الانترنت يوم الاربعاء 3آذار2021.
7- محمد عبد البديع، الاعلام والسياسة الخارجية في العصر الرقمي، مقال تم نشره في 30 تموز 2015.
8- مارتن مولآيزن, كل ما يمكن أن يقال عن الثورة الرقمية, حزيران 2018, ص7.
9- زهير الخويلدي، الثورة الرقمية: ثور تقنية بين الحرية والسيطرة، مقال منشور على الانترنت في يوم الثلاثاء من 2 آذار 2021.
10-منى فياض، تحديات الثورة الرقمية وانعكاساتها، مقال منشور في 28 اكتوبر 2018.
11-محمد يسري أبو هدور، الثورة الرقمية.. ثورة ثقافية؟ مقال تم نشره في 20 تشرين الاول 2018.

رابعاً: التقارير

1- برنامج /خفايا اوروبا، تحديات الثورة الرقمية، نشرته الشرق الاوسط عام2017 مونت كارلو الدولية، الثورة الرقمية في عالم السياسة الفرنسي، نشر في 1/23/ 2023.
2- مونت كارلو الدولية، الثورة الرقمية في عالم السياسة الفرنسي، نشر في 2017/1/23.
3- صندوق النقد العربي، الثورة الرقمية وتداعياتها على النظام المصرفي والاستقرار المالي. مخاطر الابتكارات المالية, 2019.
4- منتدى القمة العالمية لمجتمع المعلومات، تأثير التحولات الرقمية على المجتمع والاقتصاد.
5- المنصة الوطنية الموحدة، التحول الرقمي، المملكة العربية السعودية,2023.